وقائع
المؤتمر السنوي الثاني

تحت شعار

الإمامان الكاظم والجواد عليهما السلام
خزائن علم وبحور معرفة ومعادن حكمة وشموس هداية للأمة

المنعقد في العتبة الكاظمية المقدسة للمدة
من ٧ - ٨ رجب ١٤٣٢ هـ الموافق ١٠ - ٢٠١١/٦/١١م

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والنشر والطباعة

الجزء الثاني

من بلاغة حِكَم الإمامين الكاظم والجواد (ع)

م.م أحمد جاسم ثاني
جامعة البصرة/ كلية التربية

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمدٍ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يمتاز كلام الأئمة المعصومين "ع" بقمة الفصاحة والبلاغة التي لا يعلو عليها سوى كلام الله تعالى، فهو كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وما وصل إلينا من تراثهم لهو خير دليل على فصاحتهم وسمو لغتهم، وهي لغة لا تتصف بجمال الألفاظ وحسن التراكيب فحسب، بل يتساوى فيها جمال اللفظ والمعنى، الذي يؤدي إلى روعة البيان وحسن التعبير، ويترك أثراً بالغاً في نفس المتلقي سواء أكان سامعاً أم قارئاً، وهم لم يقصدوا من وراء ذلك العناية بالفن لذاته، بل هم أكبر من ذلك بكثير، فقد قصدوا من كلامهم الشريف تربية الأمة الإسلامية وتوعيتها ووعظها أخلاقياً وفقهياً وعقائدياً، بمختلف فنون التعبير اللغوي، وعندها يمكننا أن نعد تعبيرهم وسيلة لا غاية.

وقد شهد عصر الإمامين الكاظم والجواد "ع" تطوراً ثقافياً وأدبياً، إلا أن هذا التطور قد اقترن بالانحراف الأخلاقي والاجتماعي الذي أصاب القيم والأخلاق الإسلامية بالاهتزاز وعرض المثل العليا للضياع، نتيجة لما أشاعه الحكام العباسيون من ممارسات جاهلية لا تمت للإسلام بأية صلة، فكان لابد من وجود من يتصدى لهذه الظواهر السلبية ويستنقذ الأمة من واقعها المرير، وفي مقدمة هؤلاء المتصدين الأئمة المعصومون "ع"؛ لأنهم هم الخلفاء الحقيقيون لرسول الله "ص"[1]، من هنا سلك الإمام الكاظم "ع" أساليب عدة للحد من هذا الانهيار الأخلاقي الذي تعرضت له الأمة، وواجه مخطط العباسيين بأسلوب أخلاقي يتناسب مع أهداف الرسالة الإسلامية، وذلك بالموعظة والإرشاد، وتربية الجماعة الصالحة والنخب الواعية من المجتمع

وتـوجيههم والتـأثير بهـم، ليكونـوا قـدوة للنـاس فـي مواجهـة الانهيـار الأخلاقـي الـذي عصـف بالمجتمع[٢].

أما الإمام الجواد "ع" فقد اهتم بمسألة تربية الأمة وبناء الخلق الإسلامي عند الفرد والمجتمع، وذلك من خلال نقل أحاديث أجداده وحكمهم، ولاسيما جده أمير المؤمنين "ع"، لما تحويه من توجيهات تربوية عميقة ومؤثرة، فضلاً عن كلماته وحكمه النورانية[٣].

وقد توافر أدب الإمامين الكاظم والجواد "ع" على النصوص الأدبية المتنوعة الأجناس، وهذا البحث هو محاولة متواضعة لتسليط الضوء على أدب الحكمة عند هذين الإمامين، وذلك بالوقوف عند تراكيبها البلاغية وصورها الجمالية، واستخراج الدرر النفيسة من معانيها التربوية والأخلاقية والاجتماعية.

أدب الحكمة:

الحكمة لغةً: من حَكُمَ حُكْماً، إذا صار حكيماً، والحكمة كلام قليل اللفظ كثير المعنى، وتجمع على حِكَم[٤]، وهي ((معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم))[٥].

الحكمة في الاصطلاح: هي ((صياغة فنية لخلاصة مجهود بشري عمل على استنتاج واستقراء حوادث وتجارب بشرية تجرّدت بعد تأمل وتفكير في عبارة سيقت في مناسبة معينة فاصطلح الناس عليها اسم الحكمة))[٦].

ونظراً لما للحكمة وقائلها من قيمة كبيرة فقد وصفت في القرآن الكريم بالخير الكثير، قال تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ...﴾ (البقرة/٢٦٩)، كما اقترنت بوظيفة النبوة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة/٢)، بل الأكثر من ذلك أن الخالق سبحانه وتعالى وصف نفسه بها قائلاً: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور/١٨)، وقد تكرر هذا الوصف في كثير من الآيات القرآنية الكريمة[٧].

وقد ورد فضل الحكمة في الحديث النبوي الشريف، إذ قال رسول الله "ص": ((كلمة حكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها خير من عبادة سنة))[٨]، فهذه الكلمة التي تقصر عنها عبادة سنة لهي خير دليل على فضل الحكمة ومنزلتها في الإسلام.

وقال "ص" في الحث على قول الحكمة: ((ما أهدى المرء المسلم على أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ويرده عن ردى))[٩].

وقد أجاد من وصف أدب الحكمة بالقول: ((وأدب الحكمة هو نور من فيض الأنوار الجلالية يغمر قلب العبد فينفجر من لسانه سيل البيان بأروع العبارات))[١٠]، ولا يتأتى له ذلك إلا بالإخلاص لله سبحانه وتعالى، قال رسول الله "ص": ((ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه))[١١].

هذا فيما يخص عوام الناس المتعرضين للذنوب والمعاصي والخطايا، أما الأئمة المعصومون "ع" فهم على اتصال دائم بالله سبحانه وتعالى، ولا مجال لوقوع السهو والذنب منهم فضلاً عن عصمتهم "ع" عن كل خطأ وزلل؛ لذلك فقد أجرى الله الحكمة على ألسنتهم فكانت بحق منهجاً أخلاقياً تربوياً منقطع النظير، ولنأتي الآن على أبرز نقاط البلاغة في حكم الإمامين الكاظم والجواد "ع":

١- الأمر والنهي:

يندرج هذان الأسلوبان تحت باب الإنشاء في البلاغة العربية، ويعرف الأمر بأنه: ((طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء))[١٢]، أما النهي فيعرف بأنه: ((طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء))[١٣]. ومن أمثلة ما جاء في حكم الإمامين الجوادين من أسلوبي الأمر والنهي قول الإمام الكاظم "ع":

"إتقِ فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله"[١٤].

"كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً فصدِّقه وكذِّبهم ولا تذيعنَّ شيئاً يشينه"[١٥].

"لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب تجتمع حتى تصير كثيراً. وخافوا الله في السر والعلانية حتى تعطوا من أنفسكم النصف، وسارعوا إلى طاعة الله، واصدقوا الحديث، وأدوا الأمانة، فإن ذلك لكم، ولا تظلموا، ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم، فإنما ذلك عليكم"[١٦].

وقول الإمام الجواد "ع":

"لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا من الله الرحمة بالرحمة فيهم"[١٧].

"توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم بأنك لم تخل من عين الله فانظر كيف تكون"[١٨].

فإذا قرأنا هذه الحكم وجدنا كلاً منها قائماً على أسلوبي "الأمر والنهي"، وذلك باحتوائها على أفعال الأمر، وهي: (إتقِ، وكذب، وصدقه، وكذبهم، وخافوا، وسارعوا، واصدقوا، وأدوا، وارحموا، واطلبوا، وتوسد، واعتنق، وارفض، وخالف، واعلم)، كما احتوت على الأفعال المضارعة المسبوقة بـ "لا" الناهية، وهي: (لا تذيعن، ولا تستكثروا، ولا تستقلوا، ولا تظلموا، ولا تدخلوا، ولا تعالجوا، ولا يطولن).

وهذا الأمر والنهي جاء على وجه الاستعلاء؛ لأنه صادر من الأعلى وهو الإمام المعصوم "ع" للأمة الإسلامية، لوعظهم وتوجيههم إلى الأخلاق الحسنة، وإعطائهم المنهج الصحيح لممارسة الحياة الاجتماعية.

٢- الإيجاز:

وهو الكلام الذي يعتمد على المعنى الكثير بلفظ قليل لتأدية غرض بلاغي، ويعد هذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة العربية قديماً[١٩].

وقد عد الإمام الصادق "ع" هذا الأسلوب أحد الأركان الثلاثة للبلاغة بقوله: ((ثلاثة فيهن البلاغة: التقرب من معنى البغية. والتبعّد من حشو الكلام والدلالة بالقليل على الكثير))[٢٠].

وفي حكم الإمامين الجوادين "ع" يبرز هذا الأسلوب البلاغي بشكل ملحوظ، من ذلك مثلاً قول الإمام الكاظم "ع":

"التدبير نصف العيش"[٢١]، و"التودد إلى الناس نصف العقل"[٢٢]، و"كثرة الهم تورث الهرم"[٢٣]، و"ما عال امرؤ اقتصد"[٢٤]، .... وغيرها كثير.

وقول الإمام الجواد "ع":

"عز المؤمن غناه عن الناس"[٢٥]، و"غاية الزهد الورع"[٢٦]، و"عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه"[٢٧]، و"الرأي مع الأناة"[٢٨]، .... وغيرها كثير.

فقد جمعت هذه الكلمات القصار والعبارات الوجيزة مكارم الأخلاق وعيون المواعظ، وأدت أبلغ المعاني بأقل عدد من الألفاظ.

٣- التقديم والتأخير:

إن الأصل في بناء الجملة العربية هو مجيئها مرتبة على النمط المألوف في قواعد النحو، وقد يُقدم ما حقه التأخير ويُؤخر ما حقه التقديم؛ وذلك لغرض دلالي أو بلاغي، شريطة أن لا يخل ذلك بالمعنى ولا يُخالف قواعد اللغة وأن يؤمن اللبس، فقد يكون التقديم أبلغ، كتقديم المفعول على الفعل، والخبر على المبتدأ ...[٢٩].

ويعد هذا الأسلوب البلاغي من الأساليب التي تظهر فيه مواهب المتكلم وقدراته وتمكنه من الفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، ووضع الألفاظ الموضع الذي يقتضيه المعنى[٣٠].

وإذا ما تأملنا في حكم الإمامين الجوادين "ع" نجد هذا الأسلوب البلاغي بارزاً فيها، ومن ذلك قول الإمام الكاظم "ع":

"إن لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سرورا"[٣١].

إذ تقدم خبر إن وهو شبه الجملة "لله" ومتعلقه "تحت عرشه" على اسمها "ظلاً"، مما يدل على اختصاص الله سبحانه وتعالى بهذا الظل، فهو وحده من يملكه، ولا يمكن لأحد أن يسكنه إلا من يتصف بهذه الصفات الثلاث التي ذكرها الإمام "ع" في كلامه.

"إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرح الله قلبه يوم القيامة"[٣٢].

كذلك تقدم هنا خبر إن وهو شبه الجملة "لله" على اسمها "عباداً"، مما يدل على أن هؤلاء العباد لهم منزلة خاصة عند الله تعالى دون غيرهم، وذلك لسعيهم في حوائج الناس، فأجرهم هو الأمان من عذاب الله يوم القيامة، وما أعظمه من أجر.

"لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد صيام النوافل"[٣٣].

تقدم الخبر "لكل شيء" على المبتدأ "زكاة" مما يدل على اختصاص الزكاة بكل شيء، الأمر الذي يجعل المتلقي متهيئاً لقبول المقطع الثاني من الكلام "وزكاة الجسد صيام النوافل" وذلك تأكيداً لأهمية هذه النافلة العبادية.

وقد يأتي التقديم لغرض بلاغي آخر وهو غرض التحقير، كما في قوله "ع":

"من أتى إلى أخيه مكروهاً فبنفسه بدأ"[٣٤].

فقد قدم المفعول به وهو شبه الجملة "بنفسه" على الفعل "بدأ"، لغرض تحقير هذا الشخص الذي يوقع مكروهاً بأخيه المسلم.

ومن حكم الإمام الجواد "ع" التي فيها تقديم وتأخير:

"أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره"[٣٥].

يصور الإمام في هذه الحكمة عمل المعروف تصويراً جمالياً رائعاً، إذ ينسب فائدته إلى أهله فهو يعود بالنفع إليهم قبل المحتاجين، لذلك فهم أحوج إليه من أهل الحاجة، وحينها لا ينتظر صانع المعروف أن يشكره أحد، فكيف يُشكر على شيءٍ صنعه لنفسه، وقد تقدم ماحقه التأخير في هذا السياق، وأصل الكلام أن يقال: "أهل المعروف أحوج إلى اصطناعه ..."، وذلك لبيان أهمية هذا الأمر وهو اصطناع المعروف.

"بالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية"[٣٦].

فقد تقدم ما حقه التأخير في الجملتين، وهما: "بالراعي" و"بالدعاء" وذلك لغرض التخصيص، فلا تصلح أمور الرعية إلا بالراعي العادل، ولا تصرف البلية إذا حلت بالعباد إلا بالدعاء واللجوء إلى الله تعالى.

٤- القصر:

يُعرف هذا الأسلوب البلاغي بأنه: ((تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص أو . هو: إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه ...))[٣٧]، ولأسلوب القصر طرفان؛ هما المقصور: وهو الشيء المخصص، والمقصور عليه: وهو الشيء المخصص به[٣٨].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد/٢٠)، ففي هذه الآية الكريمة خُصص المقصور "متاع الغرور" بالمقصور عليه "الحياة الدنيا". ومن أمثلة ذلك في حكم الإمام الكاظم "ع":

"السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله عنه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله نبياً إلا سخياً ..."[٣٩].

قصرٌ بين صاحب الحال "نبياً" والحال "سخياً".

"المعروف تلو المعروف غل لا يفكه إلا مكافأة أو شكر"[٤٠].

قصرٌ بين الفعل "يفكه" والفاعل " مكافأة أو شكر".

وقول الإمام الجواد "ع": "لا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع"[٤١].

فقد خصص هدم الدين بالبدع، وفساد الرجال بالطمع.

٥- التشبيه:

وهو فن من فنون علم البيان في البلاغة العربية، يقوم على عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر وجعل أحدهما مشابهاً للآخر، لاشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة تشبيه لغرض يقصده المتكلم[٤٢]. ومن أمثلة التشبيه في حكم الإمام الكاظم "ع" قوله:

"من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي "ص" كان كمن رمى بسهم بلا وتر"[٤٣].

يشبه الإمام حالة الإنسان الذي يدعو الله تعالى دون أن يبدأ بالثناء عليه سبحانه، والصلاة على رسوله "ص"، بالذي يرمي بسهم بلا وتر، ووجه الشبه بينهما هو عدم الحصول على فائدة مما يبذله من جهد، وفي هذا التشبيه صورة بيانية رائعة للداعي الذي لا يتبع الشروط التي وضعها رسول الله "ص" وأهل بيته "ع" للدعاء، فقد ورد عن رسول الله "ص": ((إن كل دعاء لا يكون قبله تمجيد فهو أبتر ...))[٤٤].

"من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ..."[٤٥].

وفي هذه الكلام يحث الإمام على الكسب الحلال والكد على العيال، وذلك من خلال الترغيب به وتشبيهه بالجهاد في سبيل الله تعالى، فما أعظمها من درجة تجعل الإنسان لا يعبأ بمشاق العمل، وهو يدخل معترك الحياة ويسعى للحصول على العيش الكريم.

"المؤمن مثل كفتي الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه"[٤٦].

يشبه الإمام "ع" الإنسان المؤمن وهو يتعرض للبلاء بكفتي الميزان اللتين تعملان بشكل متوازن، فما يوضع في أحدها ليُعرف وزنه، يجب أن يوضع ما يعادله بالوزن في الأخرى، وكذا حال الإنسان المؤمن فكأنما يوزن بالبلاء وزناً ليُختبر، والبلاء في اللغة هو الاختبار[٤٧].

ومن أمثلة التشبيه في حكم الإمام الجواد "ع" قوله:

"إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره"[٤٨].

يشبه الإمام "ع" الفرد الشرير بالسيف المسلول، فكما أن للسيف المسلول منظر حسن وأثر قبيح – وهو القتل – فإن الشرير كذلك يبدي الخير ويضمر الشر في نفسه؛ لذلك يحذر الإمام "ع" من صحبته.

٦- الاستعارة:

تُعرف الاستعارة بأنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل، لعلاقة المشابهة بين المعنيين؛ الأصلي والمجازي، مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع اللفظ له[٤٩].

وفي ضوء عقد هذه العلاقة بين المستعار منه والمستعار إليه يكتسب الثاني صفة الأول[٥٠]، كما في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير/١٨)، حيث اكتسب "الصبح" صفة خاصة بالإنسان، وهي صفة "التنفس". ومن أمثلة الاستعارة في حكم الإمام الكاظم "ع" ما يأتي:

"إن قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً هم الآمنون يوم القيامة"[٥١].

حيث استُعير لفظ "كهوفاً" للقوم الصالحين الذين يعملون في حاشية السلطان الجائر ويصحبونه على مضض، ويؤون المؤمنين ويقضون حوائجهم، فكما أن الإنسان إذا كان في مكان غير آمن يلجأ إلى الكهف، كذلك فهو يلجأ إلى المقربين من السلطان ممن له القدرة على قضاء حاجته أو لينقذه من سطوة الظالمين، فيبشِّر الإمام هؤلاء القوم بالأمن يوم القيامة[٥٢].

وقوله: "رأس السخاء أداء الأمانة"[٥٣].

استعار الإمام لفظ "رأس" لصفة أداء الأمانة، ومن المعلوم أن الرأس شيء محسوس وأداء الأمانة شيء معقول، والجامع بينهما هو الدور الأساس لكل منهما، فيصح لنا القول: بأن منزلة أداء الأمانة من السخاء بمنزلة الرأس من الجسد.

ومن أمثلة الاستعارة في حكم الإمام الجواد "ع" ما يأتي:

"من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر"[٥٤].

استعارة فعل الركوب "ركب" لحالة التزام الصبر، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، كما استعير لفظ "مركب" للصبر، وفي هذه الحكمة يصور الإمام "ع" حالة الإنسان الصابر بالراكب الضال الذي يهتدي إلى بر الأمان.

"من غرس أشجار التقى اجتنى أثمار المنى"[٥٥].

وفي هذه الحكمة استعارة ذات صورتين؛ الأولى: "من غرس أشجار التقى"، حيث استعار الإمام "ع" "أشجار" للتقى وجعل الإنسان المؤمن المتقي هو من يغرسها، والثانية: "اجتنى أثمار المنى"، كذلك استعار "أثمار" للمنى وجعل المتقي هو من يجتنيها نتيجة لما زرع، فما أروعها من صورة بلاغية تدعو الإنسان ليكون من المتقين، وهي صورة مستوحاة من القرآن الكريم، قال

تعالى: ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ...﴾ (الطلاق/٢-٣).

٧- التمثيل:

يُعرف فن التمثيل بأنه: ((إحداث علاقة بين طرفين، من خلال جعل أحدهما (تمثيلاً) أو (تجسيماً) أو (تعريفاً) للشيء، مثل قوله "ع": (القناعة: كنز لا ينفد)[٥٦]، فهنا نواجه تركيباً يختلف عن الاستعارة وعن التشبيه)) [٥٧]، والمسوغ الفني لهذا الفن هو إزالة الفارقية بين الطرفين بحيث يصبح أحدهما عين الآخر، مما يعمق المعرفة لدى الإنسان بالشيء المقصود، ويقرب له صورته[٥٨]. ومن أمثلة التمثيل في حكم الإمام الكاظم "ع":

"التحدث بنعم الله شكر، وترك ذلك كفر ..."[٥٩].

"العجلة هي الخرق"[٦٠].

"قلة الوفاء عيب بالمروءة"[٦١].

ومثاله في حكم الإمام الجواد "ع":

"الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور"[٦٢].

"العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقلل زينة القناعة، وترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع"[٦٣].

ففي كلٍ من هذه العبارات قام التمثيل بعقد مماثلة بين طرفين، وذلك بجعل أحدهما مثل الآخر أو تعريفاً له، وهو أمر واضح لا يحتاج إلى تحليل.

٨- المقابلة:

المقابلة هي ((أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب))[٦٤]. كما في قوله تعالى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ ...﴾ (الأعراف/١٥٧)، وفي قول أمير المؤمنين "ع": ((ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير))[٦٥].

ومن حكم الإمام الكاظم "ع" التي بنيت على أسلوب المقابلة:

"أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق"[٦٦].

وقال "ع" وقد حضر ميتاً أنزل في قبره: "إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره"[٦٧].

و"ذكر عنده بعض الجبابرة فقال: أما والله لئن عزَّ بالظلم في الدنيا ليذلنَّ بالعدل في الآخرة"[٦٨].

ومن أمثلة حكم الإمام الجواد "ع" التي احتوت على أسلوب المقابلة:

"لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدواً له في السر"[٦٩].

"يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم"[٧٠].

"موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر"[٧١].

فإذا قرأنا هذه الحكم وغيرها لدى الإمامين الجوادين "ع" لوجدناها تأتي بمعنيين أو أكثر ثم تأتي بما يقابلها، وكما هو مبين في الجدول الآتي:

أداء الأمانة الصدق يجلبان الرزق	الخيانة الكذب يجلبان الفقر والنفاق
هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله	هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره
عزَّ بالظلم	يذلنَّ بالعدل

في الدنيا	في الآخرة
ولياً لله في العلانية	عدواً له في السر
يوم العدل على الظالم	يوم الجور على المظلوم
موت الإنسان بالذنوب موته بالأجل	حياته بالبر حياته بالعمر

٩- التقسيم:

فن التقسيم ((هو أن يُذكر متعدِّد ثم يُضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين))[٧٢]، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة/٤ – ٦).

ومن أمثلة التقسيم في حكم الإمام الكاظم "ع" قوله:

"اشتدت مؤونة الدين والدنيا، أما مؤونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه، وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يعينونك عليها"[٧٣].

"ثلاث يجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن"[٧٤].

ومن أمثلة حكم الإمام الجواد "ع" التي احتوت على فن التقسيم قوله: "ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة. وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم"[٧٥].

"الفضائل أربعة أجناس: أحدها الحكمة وقوامها في الفكرة، والثاني العفة وقوامها في الشهوة، والثالث القوة وقوامها في الغضب، والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس"[٧٦].

١٠- الاقتباس:

هو فن يقوم على تضمين الشعر أو النثر آية قرآنية أو حديثاً أو مثلاً، إما باللفظ والمعنى، وإما بالمعنى دون اللفظ، وذلك بجعل النص المُقتبس متداخلاً مع دلالة النص المقتبس له[٧٧]، بحيث لا يُفهم منه النقل عن القائل الحقيقي[٧٨].

وفي حكم الإمامين الجوادين "ع" يمكننا أن نلاحظ الاقتباس القرآني بكل وضوح، لأن أهل البيت "ع" هم عدل القرآن الكريم، بل هم القرآن الناطق، ومن أمثلة الاقتباس القرآني في حكم الإمام الكاظم "ع" قوله:

"المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة"[٧٩]، اقتباس من قوله تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (البقرة/١٥٥ – ١٥٦)، وهو اقتباس بالمعنى دون اللفظ.

"من أتى إلى أخيه مكروهاً فبنفسه بدأ"[٨٠]، اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴾ (الإسراء/٧)، وهو كذلك اقتباس بالمعنى دون اللفظ.

"ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح، فأجره على الله"[٨١]، اقتباس من قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى/٤٠)، وهو اقتباس باللفظ والمعنى.

ومن أمثلة الاقتباس القرآني في حكم الإمام الجواد "ع" قوله:

"... ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا من الله الرحمة بالرحمة فيهم"[٨٢]، اقتباس من قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾ (الحديد/١٦)، والاقتباس هنا بالألفاظ والمعاني نفسها، ولكن بتبدل الزمن في الفعلين: (فطال – لا يطولن)، و(قست – تقسوا)، وكذلك تبدل الضمير من الغيبة إلى الخطاب: (عليهم – عليكم)، و(قلوبهم – قلوبكم).

"تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) "[٨٣]، وقد اقتبس الإمام "ع" الآية الكريمة

بالنص، أي باللفظ والمعنى، من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف/٩٩)، فقط استبدل الفاء التي قبل "لا" النافية بالواو.

"لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجاً"[٨٤]، اقتبس الإمام "ع" صورة رتق السماوات والأرض – وهي كناية عن امتناع نزول الرحمة – من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ...﴾ (الأنبياء/٣٠)، كما اقتبس صورة التقوى من قوله تعالى: ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق/٢).

الخاتمة:

وفي ختام هذه اللمسات البلاغية المختصرة لحكم الإمامين الجوادين "ع" لابد لنا أن نعترف بقصورنا عن بلوغ معاني هذه الحكم التي هي خلاصة كلام الله تعالى، وزبدة السنة النبوية المشرفة، فهي منهج أخلاقي متكامل ووثيقة تربوية شاملة، عالج فيها الإمامان "ع" واقع المجتمع الذي عاصراه بأسلوب بلاغي جمالي ودلالي دقيق، وقد تبين في ضوء هذا التحليل المتواضع مدى قوة هذه الحكم من جهة اللغة والمعنى ومدى تأثيرها في النفوس، ولا غرو في ذلك فهي صادرة من أئمة الفصاحة والبلاغة وسادة العلم والفضيلة، الذين اختصهم الله بمكارم الأخلاق، وأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة أئمة أهل البيت "ع" ومعرفتهم حق المعرفة باستكشاف علومهم، والاهتداء بهديهم واتباع منهجهم، وأن يرزقنا ولايتهم ومحبتهم وشفاعتهم في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين.

٢٠١١/٤/١٦م

الهوامش:

[1] – ينظر: مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، الدكتور محمود البستاني: ٢٠٦، وأعلام الهداية، الإمام موسى بن جعفر الكاظم "ع"، لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت "ع": ١٠٠/٩.

[2] – ينظر: أعلام الهداية، الإمام موسى بن جعفر الكاظم "ع": ٧٩/٩ – ٨٠، و ١٠٠.

[3] – ينظر: أعلام الهداية، الإمام محمد بن علي الجواد "ع"، لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت "ع": ١٨١/١١.

[4] – ينظر: المعجم الوسيط، لجنة التأليف، (حَكَمَ): ١٩٠/١.

[5] – المصدر نفسه، (حَكَمَ): ١٩٠/١.

[6] – الرسول المصطفى "ص" ونظرية الأدب، عادل البدري: ٣٧٩.

[7] – ينظر: النساء: ٢٦، والأنفال: ٧١، والتوبة: ١٥–٦٠–٩٧–١٠٦–١١٠، والحج: ٥٢، والنور: ١٨–٥٨–٥٩، والحجرات: ٨، والممتحنة: ١٠.

[8] – نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي: ٣٤٤/٧.

[9] – بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي: ٢٥/٢.

[10] – الرسول المصطفى "ص" ونظرية الأدب: ٣٨١.

[11] – بحار الأنوار: ٢٤٢/٧٠.

[12] – جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٥١.

[13] – المصدر نفسه: ٥٥.

[14] – الإمام موسى الكاظم "ع"، حسين الشاكري: ٢٨٣.

[15] – المصدر نفسه: ٢٨٩.

[16] – المصدر نفسه: ٢٨٩–٢٩٠.

[17] – الإمام محمد الجواد "ع"، حسين الشاكري: ٢٣٤.

[18] – المصدر نفسه: ٢٣٤.

[19] – ينظر: أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني: ٤٣٢– ٤٣٣.

[20] – تحف العقول عن آل الرسول "ص"، ابن شعبة الحراني: ٣١٧.

[21] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٦.

[22] – المصدر نفسه: ٢٨٦.

[23] – المصدر نفسه: ٢٨٩.

[24] – المصدر نفسه: ٢٩١.

[25] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٢٩.

[٢٦] – المصدر نفسه: ٢٣١.

[٢٧] – المصدر نفسه: ٢٣١.

[٢٨] – المصدر نفسه: ٢٣٣.

[٢٩] – ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، الدكتور محمود عكاشة: ١٤٥.

[٣٠] – ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٠٤.

[٣١] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٥.

[٣٢] – المصدر نفسه: ٢٨٦.

[٣٣] – المصدر نفسه: ٢٩٠.

[٣٤] – المصدر نفسه: ٢٩١.

[٣٥] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣١.

[٣٦] – المصدر نفسه: ٢٣١.

[٣٧] – جواهر البلاغة: ١١٧.

[٣٨] – ينظر: البلاغة والتطبيق، الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير: ١٦٩.

[٣٩] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٧.

[٤٠] – المصدر نفسه: ٢٩١.

[٤١] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣١.

[٤٢] – ينظر: أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر الحسيني: ٢٠٥، والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، الدكتور محمود البستاني: ٩٣.

[٤٣] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٩٢.

[٤٤] – بحار الأنوار: ٣١٧/٩٠، وينظر: عيون الدعاء، نبيل شعبان: ١٧–١٩.

[٤٥] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٩٣.

[٤٦] – المصدر نفسه: ٢٩٣.

[٤٧] – ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (بلا): ٨٤/١٤.

[٤٨] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣٠.

[٤٩] – ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٤٥٩.

[٥٠] – ينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي: ١٠٢.

[٥١] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٥.

[٥٢] – وفي التاريخ نماذج من هؤلاء القوم أمثال علي بن يقطين رضوان الله عليه، الذي كان وزيراً لهارون العباسي لعنه الله، في حين أن موقفه كان إيجابياً من شيعة أمير المؤمنين "ع" وذلك بتوصية من الإمام الكاظم "ع". ينظر: عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٢٥/٤.

[٥٣] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٧.

[٥٤] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣١.

[٥٥] – المصدر نفسه: ٢٣١.

[٥٦] – هذا القول هو لرسول الله "ص"، ويقال لأمير المؤمنين "ع"، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩٨/١١.

[٥٧] – البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي: ١٠٦.

[٥٨] – ينظر: المصدر نفسه: ١٠٦.

[٥٩] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٦.

[٦٠] – المصدر نفسه: ٢٨٨.

[٦١] – المصدر نفسه: ٢٨٨.

[٦٢] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣١.

[٦٣] – المصدر نفسه: ٢٣٢.

[٦٤] – جواهر البلاغة: ٢٢٣.

[٦٥] – نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب "ع" (الخطبة الشقشقية): ٣١/١.

[٦٦] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٤.

[٦٧] – المصدر نفسه: ٢٩٤.

[٦٨] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٩٦.

[٦٩] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٢٩.

[٧٠] – المصدر نفسه: ٢٣٢.

[٧١] – المصدر نفسه: ٢٣٤.

[٧٢] – جواهر البلاغة: ٢٣٠.

[٧٣] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٨٤.

[٧٤] – المصدر نفسه: ٢٨٧.

[٧٥] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣٧.

[٧٦] – المصدر نفسه: ٢٣٧.

[٧٧] – ينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي: ١١٢.

[٧٨] – ينظر: البلاغة والتطبيق: ٤٣٩.

[٧٩] – الإمام موسى الكاظم "ع": ٢٩١.

[٨٠] – المصدر نفسه: ٢٩١.

[٨١] – المصدر نفسه: ٢٩٤.

[٨٢] – الإمام محمد الجواد "ع": ٢٣٤.

[٨٣] – المصدر نفسه: ٢٣٤ – ٢٣٥.

[٨٤] – المصدر نفسه: ٢٣٥.

مصادر البحث

١– القرآن الكريم.

٢– أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط/١، ١٤١٣ هـ .

٣– أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر باقر الحسيني، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط/١، ١٤٢٨ هـ

٤– أعلام الهداية، الإمام محمد بن علي الجواد "ع"، لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت"ع"، مركز الطباعة والنشر للمجمع، مط: ليلى، ط/٣، ١٤٢٧ هـ

٥– أعلام الهداية، الإمام موسى بن جعفر الكاظم "ع"، لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت"ع"، مركز الطباعة والنشر للمجمع، مط: ليلى، ط/٣، ١٤٢٧ هـ

٦– الإمام محمد الجواد "ع"، حسين الشاكري، مط: ستاره، ط/١، ١٤١٩هـ .

٧– الإمام موسى الكاظم "ع"، حسين الشاكري، نشر الهادي، مطبعة ستاره، ط/١٤١٧،١هـ.

٨– بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط/٢، ١٤٠٣ هـ .

٩– البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، الدكتور محمود البستاني، دار الفقه للطباعة والنشر، مطبعة سليمان زاده، ط/١، ١٤٢٤ هـ .

١٠– البلاغة والتطبيق، الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع بيروت الحديثة، ط/٢، ١٤٣١ هـ .

١١– تحف العقول عن آل الرسول "ص"، ابن شعبة الحراني، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ط/٢، ١٤٠٤هـ .

١٢- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط/١، ١٤٢٦ هـ .

١٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، اعتنت به: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط/١، ١٩٩٨م.

١٤- الرسول المصطفى "ص" ونظرية الأدب، عادل البدري، دار الأثر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

١٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط/٢، ١٣٨٧ هـ، "الجزء الحادي عشر".

١٦- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي جمهور الأحسائي، تح: السيد المرعشي، مط: سيد الشهداء، قم، ط/١، ١٤٠٣هـ .

١٧- عيون الدعاء، نبيل شعبان، أنوار الزهراء، ط/٣، ١٤٢٤هـ .

١٨- لسان العرب، جمال الدين بن منظور الإفريقي المصري، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ط/١، ١٤٠٥ هـ .

١٩- مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، الدكتور محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الأستانة الرضوية، ط/١، ١٣٨١ ش.

٢٠- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، ط/٢، ١٤١٨هـ .

٢١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي "ع"، تح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، "الجزء الأول".

٢٢- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط/١، ١٣٨٥ هـ .